دلالة مفردة النور في القرآن الكريم

إعداد
❖ م . م أحمد حسين عبد السادة

المقدمة

الحمد لله فائض الأنوار وفاتح الأبصار والصلاة والسلام على محمد نور الأنوار وسيد الأبرار وعلى آله الطيبين الأطهار .

أما بعد.

فقد اكتسبت المفردة القرآنية أهميتها لما تنماز به من جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالاتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى، فالمفردة في سياقها القرآني تكسبك معنى وثراء، إذ إنها تبعث في خيالك صور المعنى محسوسا مجسما دون الحاجة للرجوع الى معاجم اللغة، بل إن البحث في دلالة المفردة القرآنية يفتح لك آفاق من المعارف والعلوم، وكيف لا يكون ذلك وأنَ منشئ القرآن الكريم ليس بشرا، وإنما هو خالق البشر، لذلك لم يظفر الوجود باسلوب بلغ الإعجاز إلا في القرآن الكريم، وهيهات أن يستطيع أحد ـ مهما بلغت درجته في معرفة العلوم ـ من البشر أن ينشئ آية واحدة من إبداعه تشبه اسلوب القرآن، وتضاهي بيانه، بل إن ذلك متعذر حتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ مع عظيم قدره وعلو منزلته ـ بصريح القرآن الكريم نفسه، إن الذي خلق السماوات والأرض، بل الوجود و قبله وما بعده هو الذي أنزل القرآن وفصل مافيه تفصيلا .

من هنا حاولت أن أستجلي دلالة مفردة من مفردات القرآن الكريم ألا وهي (النور) ومن خلال التدبر والتأمل في الآيات الواردة فيها مفردة النور تكشفت لي الكثير من الحقائق والمعارف والاعتقادات الدينية ولا سيما الاعتقادات التي تسمى أصول الدين الخمسة وهي: (التوحيد، النبوة، الامامة، العدل، المعاد) فقد دلت مفردة النور على هذه المعارف والاعتقادات جميعها ولاسيما إذا أخذنا ببعض المرويات عن الأئمة (عليهم السلام) التي تبين دلالة النور على الإمامة في بعض الموارد القرآنية، وإذا كانت دراسة مفردة واحدة تفتح أمامك الكثير من المعارف والحقائق الاسلامية، فما بالك في القرآن الكريم! .

لقد سعيت جاهدا في تلمس دلالة هذه المفردة من خلال الرجوع الى المعاجم العربية للوقوف على دلالتها اللغوية أولا ومن ثم الوقوف على القرآن الكريم لإحصاء الموارد التي وردت فيها هذه المفردة ثانيا، فقمت بتصنيف هذه الآيات الى أصناف خمسة تدور حولها الآيات القرآنية المشتملة على مفردة النور، بعدها أمعنت النظر في سياق هذه الآيات للوقوف على دلالتها السياقية مستعينا في ذلك بكتب التفاسير المختلفة، فجاء البحث على محورين أسميناهما بـ (الدلالة اللغوية والدلالة السياقية) .

أرجو أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، فمن الله أستمد العون وعليه أتوكل والحمد لله رب العالمين .

الدلالة اللغوية :

إن البحث في المعجمات العربية بغية الوقوف على الدلالة اللغوية لمفردة النور يفضي الى الوقوف على دلالة واحدة لهذه المفردة وهي الدلالة الحسية من دون ذكر لدلالاتها الأخرى ولا سيما في القرآن الكريم فـ "النور: الضياء، والنور ضد الظلمة، وفي المحكم النور: الضوء أيا كان وقيل هو شعاعه وسطوعه(١)، والجمع أنوار ونيران عن ثعلب، وقد أنار واستناروتنوَ ر الأخيرة عن اللحياني بمعنى واحد أي أضاء كما يقال بان الشيء وأبان وتبين واستبان بمعنى واحد، واستنار به استمد شعاعه، ونور الصبح ظهر نوره"(٢)وفي المجاز "نوَ ر الأمر بينه، وهذا أنور من ذاك أبين"(٣)

نلحظ أن ليس هناك دلالات كثيرة لمفردة النور في المعجمات العربية بل المادة اللغوية لهذه المفردة مكررة ومتشابهة في المعجمات كافة أو تكاد من دون توضيح دلالاتها السياقية الأخرى الواردة في القرآن الكريم، ولعلَ الأمر ـ لدى المعجميين ـ لم يتعدَ وصف وتفسير هذه المفردة بمفردات أخرى ذكرت هي أيضا في القرآن الكريم مثل (الضياء، الضوء، البيان) وهي معان تعبر بمجملها عن دلالة واحدة وهي الدلالة الحسية أو المحسوسة لهذه المفردة والتي ينصرف إليها الذهن بمجرد سماع لفظة النور، ولكثرة دوران هذا المعنى في المعجمات العربية عدَت هذه الدلالة ـ الحسية ـ أصلا ثابتا في النور تتفرع منها بقية الدلالات الأخرى على سبيل المجاز وأنها أول ماوضع عليه لفظ النور فهو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، إذ به تظهر المحسوسات للبصر .

وقد قسم الراغب الأصفهاني دلالة النور الى دلالة حسية ودلالة عقلية بلحاظ ورودها في القرآن الكريم، قال: "النور: الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيوي، وآخروي، فالآخروي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم النيرات"(٤).

وقد أوضح الطباطبائي في تفسيره هذه الدلالة المحسوس/ غيرالمحسوس قال: "النور معروف وهو الذي تظهربه الأجسام الكثيفة لأبصارنا فالأشياء ظاهرة به وهو ظاهر لنا مكشوف بنفس ذاته فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر، هذا اول ما وضع عليه لفظ النور ثم عمم لكل ما ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية، فعدَ كل من المحسوسات نوراً أو ذا نور يظهر به محسوساته كالسمع والشم والذوق واللمس، ثم عمم لغير المحسوس فعدَ العقل نوراً يظهربه المعقولات"(٥).

وقد أثبت ابن منظور دلالة مركزية لمفردة النور إذ كل شيء تنطبق عليه هذه الدلالة يسمى نورا قال: "الظاهر الذي به كل ظهور، الظاهرفي نفسه المظهرلغيره يسمى نورا"(٦).

وعلى هذا الوصف الذي ذكر لمفردة النور يكون لها معنى عاما مركزيا تتفرع منه معان مختلفة، وكلام الطباطبائي هو حول الدلالة المركزية العامة لهذه المفردة وكيفية تفرع الدلالات الأخرى منها لإنطباقها مع الدلالة المركزية إما عن طريق الاستعارة أو الحقيقة الثانية كما عبر، وهو كلام يعيننا في توضيح الدلالات السياقية التي يمكن رصدها في القرآن الكريم لمفردة النور في هذا البحث فكل هذه الدلالات المنسجمة مع سياقاتها لا بد وأن تحمل هذا المفهوم العام (الظاهر الذي به كل ظهور، الظاهر في نفسه المظهر لغيره).

الدلالة السياقية

وردت مفردة النور في القرآن الكريم (٤٣) مرة توزعت على (٣٤) آية و (٢٠)سورة[٦] ويمكن تصنيف هذه الآيات ـ اجمالا ـ على النحو التالي:

الصنف الأول: الآيات التي تحدثت عن وصف الذات المقدسة:

((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ))[٧] .

الصنف الثاني: الآيات التي تحدثت عن وصف الكتب السماوية وما جاء فيها:

((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ))[٨]

((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ))[٩]

((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[١٠]

- ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا))[١١]

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً))[١٢]

((قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ))[١٣] .

الصنف الثالث: الآيات التي تحدثت عن وصف الكواكب والأجرام السماوية:

((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً))[١٤]

((وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً))[١٥]

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ))[١٦] .

الصنف الرابع:الآيات التي تحدثت عن وصف حال المؤمن والكافر في الدنيا:

((اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ))[١٧].

((هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[١٨].

((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[١٩].

((لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[٢٠].

((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ))[٢١].

((يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا))[٢٢].

الصنف الخامس: الآيات التي تحدثت عن وصف حال المؤمن والكافر في الآخرة:

- ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً))[٢٣].

((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ))[٢٤].

((وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ))[٢٥].

- ((نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ))[٢٦].

ومن خلال النظرفي هذه الآيات يمكننا أن نلحظ أنـه لا يمكن استعمال دلالـة واحدة مـع السياقات كافـة إذ لا يستقيم المعنى، بل لا يمكن استعمال هذه الدلالة الواحدةعلى صنف واحد من هذه الآيات التي صنفناها، فتارة يكون النور وصفا لمفهوم عام، وتارة أخرى يكون وصفا لجزء من هذا المفهوم.
وفيما يلي عرض لأهم الدلالات المستخلصة من مفردة النور في القرآن الكريم:

١- الله سبحانه وتعالى :

وردت مفردة النور دالة على هذا المعنى في قوله تعالى: ((اللهُ نَورُ السَّمَاوَاتِ وَالأرضِ))[٢٧] ولما كان مذهب المفسرين في أن دلالة النور الحقيقية منحصرة في الدلالة الحسية فقط فهو الكيفية الفائضة من الشمس أو القمر أو النار على الأرض والجدران وغيرهما[٢٨] وهو الذي "تظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا"[٢٩] فإن كل ما ينتج من دلالات لمفردة النور هي على سبيل المجاز، ولا يمكن حمل اللفظ عليها إلا بدليل، لأن مفردة النور حقيقة في المحسوسات لا في المعقولات، وعلى وفق ذلك يستحيل أن يكون النور ـ في هذه الكيفية ـ إلها فراحوا يتلمسون الوجوه التي تثبت هذه النتيجة، وهي وجوه مبتنية على تحليل الدلالة الحسية للنور[٢٩].
وإذا استحال أن يكون النور إلها فلابد من تأويل لفظة النور في هذه الآية، من هنا اختلف المفسرون في بيان دلالتها فذكروا فيها وجوها:
أحدهما: إن النور سبب للظهور والهداية لما شاركت النور في هذا المعنى صح إطلاق اسم النور على الهداية ويكون معنى الآية "الله هادي أهل السماوات والأرض" ذكره ابن عباس في رواية وأنس.
ثانيها: المراد مدبر السماوات والأرض بحكمة بالغة وحجة نيرة فوصف نفسه بذلك كما يوصف الرئيس العالم بأنه نور البلد فإنه إذا كان مدبرهم تدبيرا حسنا فهو كالنور الذي يهدي به الى مسالك الطرق، قال جرير: وأنت لنا نور وغيث وعصمة.
ثالثها: معناه منور السماوات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها، في رواية أخرى عن ابن عباس، وقال أبو العالية والحسن مثل ذلك[٣٠].
إن هذه الوجوه التي تنفي أن يكون الله سبحانه وتعالى نورا وكذلك الوجوه التي تؤول معنى النور في الآية القرآنية كلها مبتنية على تحليل دلالة النور الحسية وهي الدلالة المعجمية بعينها، ولو نظرنا الى معنى النور في الآية القرآنية من خلال تحليل معنى النور "الظاهر الذي به كل ظهور، الظاهر في نفسه المظهر لغيره" لتبين لنا أن مفردة النور في الآية المباركة قد تضمنت الوجوه الثلاثة مجتمعة، فالله سبحانه وتعالى هو الهادي والمدبر والمنور، إذ لا توجد مفردة أبلغ منها للدلالة على تلك المعاني، لأن الاقتصار على وجه واحد لا يعطي لهذه المفردة فرادة في الاستعمال.
فكما النور حقيقة في المحسوسات فهو حقيقة أيضا في المعقولات وقد أوضح الشيخ أبو حامد الغزالي هذه الحقيقة من خلال تحليل معنى النور وذهب الى أن حقيقة النور في المعقولات أرجح من حقيقته في المحسوسات، وقد لخص رأيه الفخر الرازي قال: "ومعلوم إن هذه الكيفية، إنما اختصت بالفضيلة والشرف، لأن المرئيات تصيربسببها ظاهرة منجلية، ثم من المعلوم أنه كما يتوقف إدراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذا يتوقف على وجود العين الباصرة إذ المرئيات بعد استنارتها لاتكون ظاهرة في حق العميان فقد تساوى الروح الباصرة والنور الظاهرة في كونه ركنا لابد منه للإدراك، ثم ترجح عليه في أن الروح الباصرة هي المدركة وبها الإدراك، وأما النور فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك، فكان اسم النور بالنور الباصر أحق منه بالنور المبصر....إذا ثبت هذا فنقول إن الإنسان بصرا وبصيرة فالبصر هو العين الظاهرة المدركة للأضواء والألوان والبصيرة هي القوة العاقلة وكل واحد من الادراكين يقتضي ظهور المدرك، فكل واحد من الادراكين نور....فثبت بما ذكرناه إن الادراك العقلي أشرف من الادراك

البصري، وكل واحد من الادراكين يقتضي الظهور الذي أشرف خواص النور فكان الادراك العقلي أولى بكونه نورا من الادراك البصري"[٣١].

فكما أن ادراك المحسوسات يتوقف على وجود العين الباصرة كذلك إدراك المعقولات يتوقف على وجود الروح الباصرة، وجميع الإعتقادات والمعارف الدينية مبتنية على الادراك العقلي لا الادراك الحسي فالانسان يؤمن بهذه المعتقدات والمعارف بعد أن يرى حقائقها في عقله، لا أن يراها بعينه، من هنا يتفاضل الناس بدرجاتهم حسب اعتقاداتهم على الرغم من اشتراكهم في نعمة البصر، والى هذا المعنى تشير آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى))[٣٢] وقال تعالى: ((فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))[٣٣].

من هنا نذهب الى أن الله سبحانه وتعالى نور في الحقيقة بل ليس النور إلا هو "فكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بإنارة الله تعالى....فالحق سبحانه هو الذي أظهرها بالوجود بعد إن كانت في ظلمات العدم وأفاض عليها أنواع المعارف بعد إن كانت في ظلمات الجهالة، فلا ظهور لشيء من الأشياء إلا بإظهاره وخاصية النور إعطاء الإظهار والتجلي والإنكشاف وعن هذا يظهر أن النور المطلق هو الله سبحانه وتعالى، وإن اطلاق النور على غير مجاز إذ كل ما سوى الله من حيث هوهو ظلمة محضة، لأنه من حيث إنه هو عدم محض.... فثبت سبحانه هو النور وإن كل ما سواه فليس بنور إلا على سبيل المجاز[٣٤] ، والى هذا المعنى ذهب محسن الفيض الكاشاني في تفسيرهذه الآية ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) قال: "الظاهر بنفسه، المظهر لهما بما فيهما"[٣٥]، كما ذهب الطباطبائي الى هذا المعنى أيضا وعده حقيقة ثابتة فيه سبحانه وتعالى، قال: "وإذا كان وجود الشيء هو الذي يظهر به نفسه لغيره من الأشياء، كان مصداقا تاما للنور، ثم لما كانت الأشياء الممكنة الوجود إنما هي موجودة بإيجاد الله تعالى كان هو المصداق الأتم للنور"[٣٦].

ومن ذلك نفهم أن الله تعالى غير مجهول لشيء من الأشياء إذ ظهور كل شيء بنفسه أو إظهاره لغيره إنما هو عن إظهاره تعالى له قبله، فهو الظاهر بذاته لذاته، قال تعالى: ((هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[٣٧] لذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله" وعنه: "لم أعبد ربا لم أره" وعنه: "لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان"[٣٨] إذ أن "الذات المقدسة كنوره الفعلي ظاهر بالحقيقة إلا أنه ظاهر بذاته لذاته على ذاته، ونوره الفعلي ظاهر في مجالي صور أسمائه وصفاته، فظهور العقل الكلي إنما هو ظهور نوره تعالى الفعلي لأن العقول بل النفوس باقية ببقاء الله"[٣٩].

وقد دلت أدعية الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على هذا المعنى منها ما في دعاء الصباح: "يا من دلَ على ذاته بذاته"[٤٠] وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: "بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت"[٤١] وفي دعاء عرفة: "ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيبا"[٤٢] وفي الكافي " اعرفوا الله بالله"[٤٣].

وإذا اختلف المفسرون في دلالة النور في هذه الآية بين الحقيقة والمجاز فقد اختلفوا أيضا في دلالاتها الأخرى الواردة في القرآن الكريم.

٢- الإيمان :

دلت مفردة النور على هذا المعنى في أكثر من سبع مواضع في القرآن الكريم[٤٤]، بل إن استعمالها في معنى الإيمان هو الأكثر والأعم من بين دلالالتها الأخرى التي سيرد ذكرها، ولازمه أن العلاقة وثيقة بين مدلول الإيمان ومدلول النور، كما أن التلازم وثيق بين مدلول الكفر ومدلول الظلام، لذا جاء هذا الوصف

كثيرا في كلام الله عزَ وجلَ، قال الفخر الرازي: "أجمع المفسرون على أن المراد من الظلمات والنور: الكفر والإيمان[٤٥]....قال الواقدي: كل ما كان في القرآن (من الظلمات الى النور) فإنه أراد به الكفر والإيمان غير قوله تعالى في سورة الأنعام: ((وجعل الظلمات والنور)) فإنه يعني به الليل والنهار، وقال: وجعل الكفر ظلمة لأنه كالظلمة في المنع من الإدراك، وجعل الإيمان نور لأنه كالسبب في حصول الإدراك"[٤٦].

بيد أننا نجد أن أسلوب القرآن الكريم في وصف حقيقة الإيمان والكفر يكون دائما بالإفراد في الإيمان (النور) والجمع في الكفر (الظلمات) فهل ثمة فارق بينهما؟

علل الطباطبائي ذلك بتحليل معنى الظلمات والنور قائلا: "وقد أتى بالظلمات بصيغة الجمع دون النور، ولعه لكون الظلمة متحققة بالقياس الى النور فيما من شأنه أن تتنور فتتكثر بحسب مراتب قربه من النور وبعده بخلاف النور فإنه أمر وجودي لا يتحقق بمقايسته الى الظلمة التي هي عدمية، وتكثيره تصويرا بحسب قياسه التصوري الى الظلمة، لا يوجب تعدده وتكثره حقيقة"[٤٧] وإذا كان هذا حال الظلمات والنور فكذلك حل الكفر والإيمان إذ يراد بذلك "الإشارة الى أن الحق واحد لا اختلاف فيه، كما أن الباطل متشتت مختلف ولا وحدة فيه"[٤٨] قال تعالى: ((وهذا سراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم))[٤٩] ، وقد جاء على وفق هذا التعليل من تعدد وجوه الكفر وإتحاد وجه الإيمان ما قاله السيد قطب:"إن الإيمان نور.... نور واحد في طبيعته وحقيقته، وإن الكفر ظلمات متعددة متنوعة، ولكنها كلها ظلمات"[٥٠].

إن حقيقة التلازم بين المدلولين (النور / الإيمان) و (الكفر / الظلمات) واضحة بينة "وذلك أن الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام، ويهتدي بالإيمان الى طرق الجنة كما يهتدي بالنور"[٥١].

وإذا وقع إجماع المفسرين والباحثين على دلالة النور في هذه الآيات على الإيمان - وهي آيات إخراج المؤمنين من الظلمات الى النور وبالعكس - فقد اختلف وصفهم في تحديد ما هية هذه الدلالة، هل هي حقيقة واقعة نتلمسها ونستشعر بها، أو أنها مجرد تشبيه لا حقيقة له؟ وعلى تسليم أن لها حقائق وواقعيات هل أن استعمال مفردة النور الدالة على الإيمان - التي هي حقيقة الهداية - حقيقة أومجاز؟

ذهب الفخر الرازي الى أنها دلالة تشبيه مبتنية على المجاز والاستعارة، قال: "فأما تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة فهو في كتاب الله تعالى كثير والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هاديا الى المحجة، والى طريق المنفعة، وإزالة الحيرة وهذا حال الإيمان في باب الدين، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة في باب الدين، بما هو الغاية في باب الدنيا"[٥٢] ورأى السيد قطب إن مفردة النور وإن استعملت استعمالا مجازيا إلاَ أنها جاءت لتعبر عن حقيقة واقعية تلمس وتذاق بالتجربة، قال في تفسير قوله تعالى: ((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لهُ نوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ))[٥٣] "إن ما يبدو من تشبيه ومجاز إنما هو لتجسيم هذه الحقيقة في الصورة المرضية المؤثرة، ولكن العبارة في حدَ ذاتها حقيقية، إن نوع الحقيقة التي تعبر هذه الآيات عنها هو الذي يقتضي هذه الإيقاعات التصويرية فهي حقيقة، نعم ولكن حقيقة روحية وفكرية، حقيقة تذاق بالتجربة ولا تمتلك العبارة إلاَ أن تستحضر التجربة ولكن لمن ذاقها....إن الإيمان تفتح ورؤية، وإدراك واستقامة، فهو نور بكل مقومات النور"[٥٤] وقريب من ذلك ما ذكره محمد جواد مغنيه[٥٥].

إننا نفهم مما ذكره المفسرون أن دلالة (النور / الظلمات) يراد بها معان مجازية غير حقيقية فهي أمثال مضروبة لتقريب صورة الإيمان والكفر الى الأذهان، لكن التدبر والتأمل في سياقات مفردة النور الدالة على الإيمان يعطيك خلاف ذلك، إذ تلمس أن النور - الذي هو الإيمان - مبني على الحقيقة وليس هو مستعار للإيمان، ولا سيما في وصف حال المؤمن في يوم القيامة على ما سيرد ذكره.

إن القول بأن الإيمان هو نور بحد ذاته وليس النور مستعارا له، نجده واضحا جليا عند الطباطبائي، فلم ينفك عن وصف هذا التلازم بين (النور / الإيمان) بالحقيقة فهذا الوصف لم يكن عنده تصويرا أو تشبيها يراد به تقريب هذه الحقيقة الى الذهن ما هو الحقيقة بعينها، قال في تفسير قوله تعالى: ((اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظلمَاتِ إِلى النّورِ وَالذِينَ كَفَرُوا أوْلِيَاؤُهُمُ الطاغوتَ يُخرِجُونَهُمْ مِنَ النّورِ إِلى

الظُّلُمَاتِ))[٥٦] "قد بينا أن هذا الإخراج وما يشاكله من المعاني أمور حقيقية غير مجازية خلافا لما توهمه كثير من المفسرين وسائر الباحثين أنها أمور مجازية يراد بها الأعمال الظاهرية من الحركات والسكنات البدنية، وما يترتب عليها من الغايات الحسنة والسيئة.....إن هذه الأمور التي أخبر الله سبحانه بإيجادها وفعلها عند الطاعة والمعصية إنما هي أمور حقيقية واقعية من غير تجور"[٥٧] كما أنه يرى أن مفردة النور لم تستعمل في الأيات القرآنية استعمالا مجازيا بل جاءت على وفق حقيقتها، وذلك من خلال تحليل معنى النور ـ الظاهر بنفسه، المظهر لغيره ـ فكلما "كان وجود الشيء هو الذي يظهر به نفسه لغيره من الأشياء كان مصداقا تاما للنور"[٥٨].

إن دلالة النور على الإيمان أمر حقيقي وواقعي من غير تجوز، وإن موقف الطباطبائي ورؤيته العامة في دلالة مفردة النور لم تنبن وفق تصوره ـ وهذا ما أراه ـ على المجاز والاستعارة ولاسيما في هذه الموارد، وهي رؤية تتباين في الوقت نفسه مع آراء كثير من المفسرين والباحثين، ولعل ماسنذكره من دلالات أخرى لمفردة النور كفيل بتوضيح هذا الفارق، ومسوغ كاف للقول بأن مفردة النور قد دلت على حقيقتها ولم تكن ضربا من ضروب الاستعارة أو المجاز، فمن يلتزم طريق الإيمان يكون له نور يلمسه في الحياة الدنيا والآخرة، وأن هذا النور لا يمكن حمله أو تأويله على غير الحقيقة التي ذكرناها بل هي صورة حقيقية ثانية للإيمان يراها المؤمن ويستشعر بها ويجني ثمارها التي أفلس منها المنافق والكافر كل الإفلاس.

٣- البصيرة النافذة

قلنا فيما تقدم أن النور جاء بمعنى الإيمان، وقد صرح القرآن الكريم في أكثر من مورد أن من لوازم هذا الإيمان نور يمتلكه صاحبه، هوغير الإيمان بل هونتيجة مترتبة على الإيمان ومدار هذا النور ـ على وفق الآيات القرآنية ـ في الحياة الدنيا والأخرة، قال تعالى: ((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ))[٥٩] وقوله: ((يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ))[٦٠] وقوله: ((أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ))[٦١] وقوله: ((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ))[٦٢] وقوله: ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ))[٦٣] وقوله: ((قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً))[٦٤] وقوله: ((وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ))[٦٥].

ومن خلال النظر في هذه الآيات القرآنية نستنتج أن الله سبحانه وتعالى يهب للمؤمنين نورا جزاء إيمانهم وقبولهم دين الحق، فانشراح الصدر في قوله تعالى: ((أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ.....)) يفيد اتساع الصدر لقبول كل ما يلقى عليه من قول الله عزَ وجلَ، ومن كان هذا حاله فإن الله تعالى يكافئه بأن يهب له ما لا يهب لغيره من النور، قال الطباطبائي:"وإذا كان ذلك للإسلام وهو التسليم لله فيما أراد وليس إلا الحق كان معناه كون الانسان بحيث يقبل ما يلقى إليه من القول الحق ولا يرده، وليس قبولا من غير دراية وكيفما كان بل على بصيرة بالحق وعرفان بالرشد ولذا عقبه بقوله: ((فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)) فجعله بحسب التمثيل راكب نور يسير عليه، ويبصر ما يمر به في ساحة صدره الرحب الوسيع من الحق فيبصره ويميزه من الباطل بخلاف الضال"[٦٦]، فالمؤمن الحق يهتدي ببصيرته في تمييز الذي ينفعه من الذي يضره، وقد ذكر الطبرسي ثلاثة صور لإنشراح الصدر وهي تبين دلالة النور في الآية.

"أحدها: بقوة الأدلة التي نصبها الله تعالى، وهذا يخص العلماء.

الثاني: بالألطاف التي تتجدد له حالا بعد حال كما قال تعالى: ((وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً))[٦٧].

الثالث: بتوكيد الأدلة، وحل الشبهة، وإلقاء الخواطر."[٦٨]، وقد اختار صاحب تفسير البصائر ـ بعد أن أعاد ذكر هذه الوجوه ـ الوجه الثاني ورجحه على غيره[٦٩].

فالمؤمن في رعاية الله سبحانه وتعالى، يزيده من عنده، ويفيض عليه من نعمه كلما ثبت في إيمانه وهذه النعم والإفاضات هي ألطاف إلهيه تسدد المؤمن وتبصره بأمور دينه ودنياه، فتجعله يرى ما لا يراه

غيره،ويسمع ما لا يسمعونه، ويعيش بينهم كغيرهم، هذا حاله في الدنيا أما حاله في الآخرة فبإيمانه يبصر طريقه وتنكشف عنه الظلمات.

إن هذا النور ـ الذي هو لازمة من لوازم الإيمان ـ ملكة نفسانية ينتفع بها صاحب الإيمان إنتفاعا حقيقيا، فهوليس وصفا استعاريا لحالته الإيمانية فهو (يمشي به في الناس) و (تمشون به) وهذه القرينة في ذيل الآيات القرآنية كفيله بتوضيح ما لهذا النور من فائدة عملية للمؤمن، فهو نور يفتح للمؤمن القدرة على المعرفة والتبصر في الأشياء بين الناس، وسبيل واضح يعينه في اكتساب الحقيقة والسعي ورائها، خلاف الناس الذين لا يملكون هذه الملكة، فهو امتيازإلهي يمنح من قبل الله عزَ وجلَ لمن استحقه وسعى إليه، هذه الملكة عبرنا عنها (البصيرة النافذة) .

وإذا فهمنا ذلك من الآيات التي أوردناها علمنا أن إنتفاع المؤمن بهذا النور منه ما هو في الدنيا ومنه ما هو في الآخرة، وإن نور الدنيا سبب في تحصيل نور الآخرة، فمن وفق للحصول على هذا النور في حياته فقد أمن حصوله في دار بقائه، وبالعكس، ((وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ))[٧٠] **ونظر** في آيتين مما أوردنا أحدها: في النور الدنيوي المتحصل من الإيمان، وثانيها: النور الأخروي الذي هو جزاء الإيمان.

قال تعالى: ((أوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ))[٧١]

ذهب بعض المفسرين الى أن الآية فيها تشبيه ومثل ضربه الله عزَ وجلَ للمقارنة بين الحياة والموت، والنور والظلام، ففي الكلام استعارة الموت للضلال واستعارة الحياة للإيمان[٧٢] فلا محالة عدَ المؤمن حيا بحياة الإيمان ذا نور يمشي به في الناس، وعدَ الكافر ميتا بميتة الضلال في ظلمات لا مخرج له منها، فالكلام مبني على عناية تخيلية واستعارة تمثيلية يمثل بها حقيقة المعنى المقصود.

بيد أن الطباطبائي يرد على هذه الأقوال وينفيها ويثبت رأيا آخرا على وفق سياق الآية ومدلولها، قال: "ولكن التدبرفي أطراف الكلام والتأمل فيما يعرفه القرآن الكريم يعطي للآية معنى وثراء....فإن الله سبحانه وتعالى ينسب للإنسان الإلهي في كلامه حياة خالدة أبدية لا تنقطع بالموت الدنيوي هو فيها تحت ولاية الله محفوظ بكلاءته مصون بصيانته لا يمسه نصب ولا لغوب، ولا يذله شقاء ولا تعب، مستقر في حبَ ربه..."[٧٣].

فإننا نلحظ أن من تلبسه الإيمان لايخشى أحد ولا يخاف من أحد "ومن كان هذا شأنه فإنه يرى ما لا يراه الناس، ويسمع ما لا يسمعونه، ويعقل ما لا يعقلونه، ويريد ما لا يريدونه وإن كانت ظواهر أعماله وصور حركاته وسكناته تحاكي أعمال غيره وحركاتهم وسكناتهم وتشابهها، فله شعور وإرادة فوق ما لغيره من الشعور والإرادة....فللمؤمن مرتبة من الحياة ليس عند غيره"[٧٤]، فلاجرم إن من أخلص لله سبحانه وتعالى وآمن به واتقاه وعمل في مرضاته أن يهبه هذه المرتبة من الحياة، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا))[٧٥] وقال: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً))[٧٦] وقال تعالى في وصف غير المؤمنين ((لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))[٧٧] "فتبين بذلك أن للحياة وكذا للنور حقيقة في المؤمن واقعية وليس الكلام جاريا على ذلك التجوز الذي لا يتعدى مقام العناية اللفظية، فما في خاصة الله من المؤمنين من الصفة الخاصة بهم أحق باسم الحياة مما عند عامة الناس من معنى الحياة"[٧٨]

إن النور في هذه الآية هو ملكة نفسانية ينتفع بها الإنسان المؤمن في حياته، وتعينه في أموره الاجتماعية والدينية، فالنور هنا هو ليس الإيمان بقدر ما هو العلم المتولد من الإيمان، والنتيجة المترتبة عليه، والجزاء الذي وعد به الله عبادة المؤمنين، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من عمل بما يعلم علمه الله ما لم يعلم"[٧٩] فإن "روح الإيمان إذا تمكنت من نفس الإنسان واستقرت فيها، حولت الآراء والأعمال الى صور تناسبها ولا تخالفها وكذلك سائر الملكات....و (يمشي به في الناس) أي يتبصر به في مسيرة حياته الاجتماعية المظلمة ليأخذ من الأعمال ما ينفعه في سعادة حياته ويترك ما يضره"[٨٠]، هذا هو

حال المؤمن في الدنيا على ما أفاده سياق الآية القرآنية وكذا الحال في قوله تعالى: ((ويجعل لكم نورا تمشون به))[81].

أما نور المؤمن في يوم القيامة فنلحظه في قوله تعالى: ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً))[82].

السياق يفيد أن اليوم هو يوم القيامة وإن المنافقين والمنافقات في ظلمة حالكة خلاف المؤمنين، وإن الجميع متوجهون الى دارهم التي هي جزاؤهم ومستقرهم، فالمؤمنون بأيمانهم يبصرون طريقهم وتتكشف عنهم الظلمات كيما يهتدون الى مقامهم، أما المنافقون فهم في ظلم حالكة أحاطت بهم سرادقها وتقطعت بهم السبل سوى التعلق بالمؤمنين والإلتماس منهم الإنتظار ليقتبسوا من نورهم كيما تنقشع عنهم سحائب الظلام، ولكن هيهات وأنى لهم ذلك بعدما غشيتهم الظلم وعميت الأبصار، فلا نور اليوم لأنه في الدنيا يتحصل، وهذا ما كان جواب المؤمنين أو الملائكة لهم علي ما يحمل في ثناياه من تهكم واستهزاء، كما كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا ((قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً)) فإن النور نور الإيمان ولا إيمان لكم[83].

وبضم دلالة الآيتين بعضهما الى بعض يتبين لنا أن النور في الدنيا سبب في تحصيل النور في الآخرة، وكلاهما نتيجة الإيمان، قال تعالى: ((قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى))[84]، وقال: ((وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً))[85].

من هنا نفهم دلالة مفردة النور في هذه الموارد والتي أفادت بصيرة نافذة في معرفة الأمور في الدين والدنيا، والحياة والآخرة.

٤- الأحكام والشرائع :

دلت مفردة النور على هذا المعنى في أربع مواضع، وردت جميعها في وصف الكتب السماوية ـ التوراة، الإنجيل، القرآن ـ بالنورية، فموضعان منها في وصف التوراة، قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ))[86] وقال: ((قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ))[87] وموضع في وصف الإنجيل، قال تعالى: ((وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ))[88] وموضع في وصف القرآن الكريم قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا))[89].

أجمع المفسرون على التفريق بين اللفظتين (الهدى / النور) من حيث الدلالة، فلكل واحدة منها معنى خاص يليق بها ويختلف عن صاحبتها، وهذه المغايرة في الدلالة متأتية من عطف إحداهما على الأخرى إذ إن "العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فوجب حصول الفرق بين الهدى والنور"[90] ولعل الفرق هو أن الهدى لا زمة من لوازم النور التي لا تنفك عنها بحال، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص.

ووصف هذه الكتب السماوية بالنورية لما تشتمل عليه هذه الكتب من معارف وأحكام والتي هي ليست من صنيعة الإنسان ولا يمكنه الوصول إليها مهما جدَ واجتهد في طلبها، فما فيها هو ليس من العلوم العادية التي دأب الإنسان في الوصول إليها بما جهزه الله سبحانه وتعالى من وسائل كالحس، والخيال، والعقل، بل إن ما فيها هومن لوازم الألوهية بأن تهدي الإنسان الى سعادته وتنزل على بعض أفراده الوحي والكتاب، فما ورد في هذه الكتب السماوية من أحكام وشرائع ليس في وسع الإنسان ـ بحسب الطرق المألوفة عنده ـ أن يأتي بمثلها حسب علمه وفهمه واجتهاده، ولا سبيل له في الوصول إليها إلاَ من خلال ما أوحاه الله سبحانه وتعالى الى أنبيائه، وحملة وحيه، بكتاب أو بغير كتاب .

فهذه الآيات مسوقة في معرض الإحتجاج على أهل هذه الكتب وهم (اليهود والنصارى) في عدم قبولهم حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والنزول عليه) ((وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ

فَاحْذَرُوا))(٩١) وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحكم بينهم بما أنزل إليه من أحكام وشرائع ((فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))(٩٢)، ولا ريب في عدم قبولهم حكم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ الذي هو وفق أحكام الله وشرائعه ـ فإنهم قد رفضوا هذه الأحكام من قبل فقد اشتملت عليها كتبهم، وحكم بها أنبياؤهم ولكنهم رفضوا قبولها وأعرضوا عنها ((وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ))(٩٣) ثم أكد الله سبحانه وتعالى أن هذه الأحكام والشرائع الواردة في الكتب السماوية الثلاثة هي من عند الله تعالى ضمنها كتبه التي أنزلها على انبيائه (عليهم السلام) وأمرهم بالعمل بها، والحكم على وفق ما جاء فيها، فلا اختلاف فيها ولا تعارض بل يصدق بعضها بعضا،ويؤيد بعضها بعضا، ووصفها بالنورية وأتممها بضرورة العمل بها وتشديد النكير على مخالفتها، قال تعالى بعد ذكر التوراة: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ))(٩٤) وقال بعد ذكر الإنجيل: ((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))(٩٥) وقال بعد ذكر القرآن: ((فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ))(٩٦) وقد جاء ذلك كله في آيات قرآنية يتبع بعضها بعضا لبيان ما اشتملت عليه هذه الكتب السماوية من شرائع وأحكام(٩٧).

من هنا نرى أن مفردة النور الواردة في وصف هذه الكتب السماوية جاءت في وصف ما تضمنته هذه الكتب من شرائع وأحكام .

وقد حصر الطباطبائي دلالة النور في هذه الآيات في الشرائع والأحكام، قال: "قوله تعالى في وصف الإنجيل (فيه هدى ونور) محاذاة لقوله في وصف التوراة (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) يراد ما اشتمل عليه الكتاب من المعارف والأحكام.....فالهدى المذكور أولا هو نوع المعارف التي يحصل بها الاهتداء في باب الإعتقادات....وعلى هذا لا يبقى لقوله: (ونور) من المصداق إلا الأحكام والشرائع.....وقد ظهر بذلك إن الهدى في وصف التوراة وفي وصف الإنجيل أولا هونوع المعارف الاعتقادية كالتوحيد والمعاد، وبالنور في الموضعين نوع الأحكام والشرائع"(٩٨) وكذا الحال في تفسير الرازي فقد حصر دلالة النور ههنا في الأحكام والشرائع، قال: "إن الإنجيل هدى بمعنى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراءة الله سبحانه وتعالى عن الصاحبة والولد، والمثل والضد، وعلى النبوة، وعلى المعاد....وأما كونه نورا بينا للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف"(٩٩) بيد أنه قلب دلالة المفردتين (الهدى / النور) الواردة في وصف التوراة بأن جعل دلالة الهدى في الأحكام والشرائع ودلالة النور في المعتقدات، ولست أدرى ما المسوغ الذي دفعه الى ذلك، قال في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)) "فالهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والتكاليف والنور بيان للتوحيد والنبوة والمعاد"(١٠٠) وبذلك قال الطبرسي أيضا(١٠١).

أما الآية الرابعة التي ذكر فيها النور وصفا للقرآن الكريم ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً....)) فهي مبتنية على أن (الروح) هو القرآن الكريم كونه قد أيد بقوله (ولكن جعلناه نورا) من هنا قيل: أن المراد بالروح القرآن(١٠٢).

فالآية المباركة مشتملة على كلام مسوق لبيان أن ما عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من المعارف والأحكام والشرائع التي تلبس بها، ودعا الناس إليها، ليس مما أدركه بنفسه، وأبداه بعمله، بل هو أمر من عند الله، منزل إليه بوحيه، فالآية مسوقة لبيان الفرق في حال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل النبوة وبعدها، فإن ماحصل له بعد النبوة هو مما لا صنع له فيه، وإنما هومن صنع الله عزَ وجلَ أنزله إليه عن طريق الوحي، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان مؤمنا بالله موحدا له قبل أن يبعثه إلاَ أنه لا علم له بتفصيل ما في الكتاب من الأحكام والشرائع فقد أوتي العلم بها بعد النبوة والوحي.

وقد تفرد الطباطبائي في توجيه هذه الآية لرفع الإشكال الحاصل من حمل (الروح) على القرآن وأن الآية مشتملة على ذكر (الكتاب) وهو القرآن أيضا، قال: "ويمكن رفع إشكال كون الإيحاء بمعنى الإنزال

والإرسال بالقول، بكون قوله: (روحا) منصوب بنزع الخافض ورجوع ضمير (جعلناه) الى القرآن المعلوم من السياق أو الكتاب والمعنى: وكذلك أوحينا إليك بالقرآن بروح منا ما كنت تدري ما الكتاب وما الإيمان ولكن جعلنا القرآن أو الكتاب نورا، هذا وما أذكر احدا من المفسرين قال به"(١٠٣) .

فالآية ـ كما قلنا ـ مسوقة لبيان أن الأحكام والشرائع التي اشتمل عليها القرآن الكريم هي من عند الله عزَ وجلَ فصلها لنبينا محمد (صلى الله علية وآله وسلم) بعد النبوة بالوحي "فالمعنى: ما كان عندك قبل وحي الروح / الكتاب بما فيه من المعارف والشرائع ولا كنت متلبسا بما أنت متلبس به بعد الوحي من الإلتزام الإعتقادي والعملي بمضامينه وهذا لا ينافي كونه (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنا بالله موحدا قبل البعثة صالحا في عمله، فإن الذي تنفيه الأية هو العلم بتفصيل ما في الكتاب والإلتزام بها إعتقادا وعملا ونفي العلم والالتزام التفصيليين لا يلازم نفي العلم والالتزام الإجماليين بالإيمان بالله والخضوع للحق"(١٠٤) كما أن الطبرسي أثبت أيضا أن دلالة النور في هذه الآية إنما هي في الأحكام والشرائع(١٠٥).

ولاجرم من وصف الأحكام والشرائع بالنور إذ "إنها أمور يستضاء بها ويسلك في ضوئها وتنورها مسلك الحياة"(١٠٦) .

٥- القرآن الكريم :

دلت مفردة النور على هذا المعنى في ثلاث مواضع من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))(١٠٧) وقوله: ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا))(١٠٨) وقوله: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً))(١٠٩) .

أجمع المفسرون على أن النور الوارد في هذه الآيات القرآنية دال على القرآن الكريم(١١٠) ووصف القرآن الكريم بالنور ينطبق تمام الانطباق على المعنى العام لمفردة النور الذي ذكرناه فإذا كان النور ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره، فكذلك القرآن فإنه مبين بذاته وهذه الحقيقة قد أثبتها القرآن في أكثر من مورد حينما وصفه بأنه (مبين) قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً)) وقال: ((تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ))(١١١) أي مبين بنفسه، وقال: ((آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ))(١١٢) أي بنفسها، فلما كان القرآن مبين بذاته امتلك القدرة على بيان غيره، قال تعالى: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ))(١١٣) .

من هنا كان القرآن والنور سواء فكلاهما يهدي في الظلم،ويوضح الطريق الذي يسلكه الإنسان، قال الرازي: " وتسمية القرآن بالنور ظاهرة لأن النور الظاهر هو الذي يتقوى به البصر على إدراك الأشياء الظاهرة،والنور الباطن أيضا هو الذي تتقوى به البصيرة على إدراك الحقائق والمعقولات"(١١٤) وقال الطبرسي: " القرآن الذي هو نور في القلوب،كما إن الضياء نور في العيون، ويهتدي به الخلق في أمور الدين، كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا"(١١٥) .

إن وصف القرآن بالنور غير مبتن على الاستعارة أو التمثيل والمجاز بل هو بلحاظ حقيقة القرآن ومضمونه، وقد ذهب بعض المفسرين الى أن التلازم بين القرآن والنور مبني على الاستعارة التمثيلية، جاء في تفسير البصائر في تفسير قوله: (والنور الذي أنزلنا) "(والنور) هذه استعارة والمراد بالنور هنا القرآن"(١١٦) .

إن دلالة النور على القرآن نستنتجها من سياق الآيات نفسها وذلك بقرينة (إنا أنزلنا إليكم) و(الذي أنزل معه) و (الذي أنزلنا) بيد أن الآية الأولى (والنور الذي أنزل معه) قد توحي بأن النور هو غير القرآن الكريم وإنما هو أمر آخر لذكر (معه) فلو كان النور بمعنى القرآن لقيل: أنزل عليه، أو أنزل إليه، فهي أقرب في توضيح الدلالة، وقد اختلف المفسرون في توجيه هذه المعية ومعناها فقيل: "وقد يقوم (مع) مقام (على) كما يقوم (على) مقام (مع) وقيل: معناه: أنزل في زمانه وعلى عهده"(١١٧) وقيل: "إن الظرف ـ معه ـ متعلق بأنزل، والكلام على حذف مضاف أي مع نبوته أو إرساله (صلى الله عليه وآله

وسلم) لأنه لم ينزل معه، وإنما أنزل مع جبرئيل، وقيل: متعلق بـ (اتبعوا) والمعنى حال عن فاعل (اتبعوا) والمعنى: اتبعوا القرآن مصاحبين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اتباعه"[١١٨] .

ونرى إن مجيء (مع) في الآية لا تبعد دلالة النور على القرآن الكريم، فقد وقع نظيرها في قوله تعالى: ((فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ))[١١٩] فقد أشارت الآية القرآنية بشكل واضح وصريح على أن الكتاب أنزل مع النبيين، وبحمل هذه الآية على تلك يتضح أن المراد بالنور هو القرآن الكريم .

ولعلَ النكتة في استعمال (مع) في الآية الكريمة أن الآية هنا في مقام بيان أن القرآن هو ملازم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومقترن معه ولا يمكن الاستغناء بأحدهما دون الآخر وهذه المعية ثابتة حتى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَ الحوض" .

٦- الضياء :

دلت مفردة النور على هذا المعنى في أربعة مواضع من القرآن الكريم، منها ثلاثة مواضع في وصف الشمس والقمر، قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً))[١٢٠] وقال: ((وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً))[١٢١] وقال: ((وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً))[١٢٢] وموضع في جعل الظلمات والنور بعد خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ))[١٢٣] .

إن دلالة النور على الضياء ـ في هذه الموارد ـ هي دلالة حسية، وتأتي هذه الدلالة الحسية بعد ذكر السماوات والأرض في جميع مواردها، فلو أمعنا النظر في هذه الموارد الأربع لتبين لنا أن الآيات جميعها مسوقة لبيان خلق السماوات والأرض وما فيها وما حولها، قال الطباطبائي في تفسير هذه الآيات: "جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور"[١٢٤] وقال الطبرسي: "(هو الذي جعل الشمس ضياء) بالنهار، (والقمر نورا) في الليل"[١٢٥]، فالذي يفهم من دلالة النور في هذه الموارد هو الأمر المحسوس الذي عدَه المفسرون واللغويون حقيقة في معنى النور، وقد فرق المفسرون بين الدلالتين الضياء / النور من حيث الشدة والضعف، قال الطبرسي: "والضياء أبلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور"[١٢٦] وقال الفخر الرازي: "إعلم أن النور كيفية قابلة للأشد والأضعف، فإن نورالضياء أضعف من النورالحاصل في أول النهار وقبل طلوع الشمس، وهو أضعف من النورالحاصل في أفنية الجدران عند طلوع الشمس، وهو أضعف من النور الساطع من الشمس على الجدران....فكما هذه الكيفية المسماة بالضوء على ما يحس به في جرم الشمس وهو في الإمكان وجود مرتبة من الضوء أقوى من الكيفية القائمة بالشمس، فهو من مواقف المعقول....فنقول النور اسم لأصل هذه الكيفية، وأما الضوء فهو اسم لهذه الكيفية إذا كانت تامة قوية والدليل أنه تعالى سمى الكيفية القائمة بالشمس (ضياء) والكيفية القائمة بالقمر (نورا) ولا شك أن الكيفية القائمة بالشمس أقوى وأكمل من الكيفية القائمة بالقمر"[١٢٧] وقد فرق الطباطبائي بين ضياء الشمس ونور القمر أن القمر يكتسب نوره من الشمس وليس منورا بنفسه فهو أضعف إذا قيس بضياء الشمس، قال: "وعلى هذا تكون الشمس سراجا هو كونها مضيئة لعالمنا ولولاها لإنغمرنا في ظلمة ظلماء، وكون القمر نورا هو كونه منورا لأرضنا بنور مكتسب من الشمس فليس منورا بنفسه حتى يعد سراجا"[١٢٨] وقريب من القولين ما ذكره الطوسي في تفسيره[١٢٩] .

إن دلالة النور الحسية الواردة في آيات وصف الشمس والقمر تمتد الى آية (جعل الظلمات والنور) قال الفخرالرازي: "وفي لفظ (الظلمات والنور) قولان: الأول: أن المراد منها الأمران المحسوسان بحس البصر والذي يقوي ذلك أن اللفظ حقيقة فيهما، وأيضا هذا الأمران إذا جعلا مقرونين بذكر السماوات والأرض فإنه لا يفهم منهما إلاَ هاتان الكيفيتان المحسوستان، الثاني: نقل الواقدي عن ابن عباس أنه قال: (

وجعل الظلمات والنور) أي ظلمة الشرك والنفاق والكفر يريد نور الإسلام والإيمان والنبوة واليقين.....ولقائل يقول حمل اللفظ على الوجه الأول أولى، لما ذكرنا أن الأصل حمل اللفظ على حقيقته ولأن الظلمات والنور إذا كان ذكرهما مقرونا بالسماوات والأرض لم يفهم منه إلاَ ما ذكرناه، قال الواحدي: والأولى حمل اللفظ عليهما معا، وأقول هذا مشكل لأنه حمل اللفظ الواحد بالإعتبار الواحد لا يمكن حمله على حقيقته ومجازه معا"[١٣٠] فقد رجح الرازي الدلالة الحسية للفظة النور في هذا المورد على دلالتها العقلية كون الدلالة الحسية حقيقة في النور وما عداه فهو من المجاز، معللا ذلك أيضا بإيرادها مقرونة بذكر السماوات والأرض، وكذلك أشار الطبرسي الى هذه الدلالة الحسية في هذه الآية قال:"(في جعل الظلمات والأرض) يعني الليل والنهار ـ عن السدي وجماعة من المفسرين"[١٣١]

وقد ذهب الطباطبائي أيضا الى أن مفردة النور في هذا المورد أريد بها الدلالة الحسية كونها قد وردت في سياق خلق السماوات والأرض من دون ذكر لحقيقة هذه الدلالة في النور[١٣٢]، فقد أثبتنا فيما تقدم أنه يرى إن الدلالة الحسية وإن كانت حقيقة في النور فإن دلالاتها الأخرى (العقلية) حقيقية هي أيضا في النور.

٧- الدين :

دلت مفردة النور على هذا المعنى في آيتين من القرآن الكريم تكررت خلالهما أربع مرات وذلك في قوله تعالى: ((يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))[١٣٣] :((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))[١٣٤] .

فسرت مفردة النور في الموضعين على أنها الدلائل الدالة على صحة نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "النور: الدلائل الدالة على صحة نبوته وهي أمور كثيرة جدا، أحدها: المعجزات القاهرة التي ظهرت على يده....وثانيها: القرآن العظيم الذي ظهر على لسان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)....وثالثها: حاصل شريعته....ورابعها: أن شرعه كان خاليا من جميع العيوب....وإنما سمي الدلائل بالنور لأن النور يهدي الى الصواب فكذلك الدلائل تهدي الى الصواب في الأديان"[١٣٥] وبذلك قال الطبرسي أيضا "هو القرآن والاسلام ـ عن أكثر المفسرين، وقيل نور الله: الدلالة والبرهان، لأنهما يهتدي بهما كما يهدي بالأنوار ـ عن الجبائي، قال: ولما سمى الحجج والبراهين أنوارا سمى معارضتهم لذلك إطفاء"[١٣٦] وقال الزمخشري: "مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ....ليطفئه بنفخة ويطمسه"[١٣٧] .

ولو ظرنا في مجموع ما قاله المفسرون من بيان هذه الأدلة والبراهين لأدركنا أن المراد منها هو الدين الاسلامي الذي جاء به نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحث الناس على الدخول فيه بأن أقام لهم المعجزات وأظهر لهم البراهين والحجج وما ذلك إلاَ ليعتنقوا الاسلام ويدينوا بدين الحق، ولو التدبر في سياق الآيتين الكريمتين يظهر لنا أنهما مسوقتان لبيان حال من لا يدينون بدين الحق وهو الاسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم، فما قبل الآية وما بعدها آيات قرآنية توضح معنى النور الذي يريدون إطفاءه فقد سبق الآية الأولى في سورة التوبة قوله تعالى: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...))[١٣٨] كما أنها أتبعت بقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))[١٣٩] وكذا الحال في الآية الثانية في سورة الصف فإنها سبقت بقوله تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[١٤٠] كما أنها أتبعت بقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))[١٤١].

فسياق هذه الآيات هو سياق ذم من لا يتبع دين الحق، ويرغب عنه، ويحاول بكلامه إبطاله، ففي الآيتين إشارة الى حالهم في إبطال دين الحق الذي جاء به (موسى وعيسى ومحمد) (صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين) كما أن فيها وعد جميل بأن الله سيتم دينه ويظهره على غيره حيث "إن الضمير في قوله (ليظهره) راجع الى دين الحق كما حو متبادر من السياق وفي الآيتين من تحريض المؤمنين على قتال أهل الكتاب والاشارة الى وجوب ذلك ما لا يخفى فإنهما تدلان على أن الله أراد إنتشار هذا الدين في العالم البشري، فلا بد من السعي والمجاهدة في ذلك، وأن أهل الكتاب يريدون أن يطفؤا هذا النور بأفواههم فلا بد من قتالهم.....وأن الله يأبى إلاّ أن يتم نوره، ويريد أن يظهر هذا الدين على غيره"[١٤٢] وقال الطبرسي في إتمام هذا النور وإظهاره: "أي مظر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك غايته"[١٤٣] .

ففي الآيتين تحقير لفعلهم وتصغير لشأنهم، لأن ما كان من الله تعالى - وهو الدين - لا يستطيع أحد إبطاله مهما جد واجتهد في ذلك، قال الطبرسي في تفسير قوله (بأفواههم) " لأن الاطفاء يكون بالأفواه، وهو النفخ، وهذا من عجيب البيان، مع ما فيه من تصغيرشأنهم وتضعيف كيدهم، لأن الفم يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة"[١٤٤] وقال الطباطبائي: "أي بالنفخ بالأفواه كما يطفئ الشمعة بالنفخة كناية على أنهم زعموا أن نور الله وهو دينه نور ضعيف كنور الشمعة يطفأ بأدنى نفخة"[١٤٥] وقد فرق الراغب الأصفهاني في دلالة الآيتين (أن يطفؤا) و(ليطفؤا) قال: "والفرق بين الموضعين أن في قوله: (يريدون أن يطفؤا) يقصدون إطفاء نور الله، وفي قوله: (ليطفؤا) يقصدون أمرا يتوصلون به الى إطفاء نور الله"[١٤٦] .

يتضح لنا أن دلالة النور ههنا هي الدين لا غيرها بصريح الآيات الواردة في سياق متصل يوضح بعضها بعضا .

٨- النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :

وردت مفردة النور دالة على هذا المعنى في موضع واحد وهو قوله تعالى: ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نَورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ))[١٤٧] فلما كان العطف يوجب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه من حيث المعنى، وجب حمل لفظ (النور) على غيرمعنى (الكتاب) الذي هو القرآن قال الفخر الرازي في دلالة النور في هذه الآية: "وفيه أقوال: الأول: أن المراد بالنور: محمد، وبالكتاب: القرآن، والثاني: أن المراد بالنور: الاسلام، وبالكتاب: القرآن، الثالث: النور / الكتاب: هو القرآن وهذا ضعيف لأن العطف يوجب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وتسمية محمد والاسلام والقرآن بالنور ظاهرة، لأن النور الظاهر هو الذي يتقوى به البصر على إدراك الأشياء الظاهرة، والنور الباطن أيضا هو الذي تتقوى به البصيرة على إدراك الحقائق والمعقولات"[١٤٨].

ففي الكلام إشارة الى حقيقة النور في المعقولات كما هو حقيقة في المحسوسات، وبذلك قال الطبرسي أيضا: "يعني بالنور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه يهتدي به الخلق كما يهتدون بالنور - عن قتادة، واختاره الزجاج، وقيل عنى به القرآن لأنه يبين به الحق من الباطل - عن الجبائي، والأول أولى لقوله (وكتاب مبين) فيكون اختلاف اللفظين لإختلاف المعنيين"[١٤٩] أما الطباطبائي فإنه وإن حاول حمل اللفظين على معنى القرآن، بأن جعل (الكتاب) عطف تفسير، إلاّ أنه لم يبعد احتمال كون النورهو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "ظاهر قوله (قدجاءكم من الله نور) كون هذا الجائي قائما به تعالى نحو قيام كقيام البيان أو الكلام بالمبين والمتكلم وهذا يؤيد كون المراد (بالنور) هو القرآن الكريم وعلى هذا فيكون قوله: (وكتاب مبين) معطوف عليه عطف تفسير، والمراد بالنور والكتاب المبين جميعا القرآن.....ومن المحتمل أن يكون المراد بالنور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما أفاده صدرالكلام في الآية وقد عده الله نورا في قوله: ((وسراجا منيرا))[١٥٠]."[١٥١] .

الهوامش والإحالات :

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس:١٤/٣٠٠-٣٠١ (نور).
(٢) لسان العرب: ٣٢١/١٤ (نور)
(٣) أساس البلاغة: ٢/ ٣٠٢، (نور)
(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٢٧ (نور).
(٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ١٢٢.
(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ٨٨٠ (نور)
(٧) النور: ٣٥
(٨) المائدة: ٤٤
(٩) المائدة: ٤٦
(١٠) الأعراف: ١٥٧
(١١) التغابن: ٨
(١٢) النساء: ١٧٤
(١٣) الأنعام: ٩١
(١٤) يونس ٥
(١٥) نوح: ١٦
(١٦) الأنعام: ١
(١٧) البقرة: ٢٥٧
(١٨) الأحزاب: ٤٣
(١٩) الحديد: ٩
(٢٠) الطلاق: ١١
(٢١) الأنعام: ١٢٢
(٢٢) التحريم: ٨
(٢٣) الحديد: ١٣
(٢٤) الحديد: ١٢
(٢٥) الحديد: ١٩
(٢٦) التحريم: ٨
(٢٧) النور: ٣٥
(٢٨) ينظر: مشكاة الأنوار: ٤٢.
(٢٩) الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ١٢٢.
(٣٠) ينظر: التفسير الكبير: ٨/ ٣٨٠، وينظر: مجمع البيان: ٢٦٧/٧، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٣٦، وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٨/ ١٨٠، وينظر: تفسير غريب القرآن الكريم: ٢٨٢.
(٣١) ينظر: التفسير الكبير: ٨/ ٣٨٠، مشكاة الأنوار: ٤٢.
(٣٢) طه: ١٢٥
(٣٣) الحج: ٤٦
(٣٤) التفسير الكبير: ٨/ ٣٨٣، وينظر: مشكاة الأنوار: ٥٤.
(٣٥) تفسير الصافي: ٣/ ٤٣٤.
(٣٦) الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ١٢٢.
(٣٧) الحديد: ٥٧.

(٣٨) ينظر:الميزان في تفسير القرآن: فقد عقد الطباطبائي مبحثا في معنى الرؤية القلبية لله سبحانه وتعالى مستند الى الأخبار والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ٨/ ٢٦٧ ـ ٢٧٤ .
(٣٩)شرح الأسماء الحسنى: ١/ ٤.
(٤٠) بحار الأنوار: ٨٤/ ٣٣٩ .
(٤١) نفسه: ٣/ ٢٧٠ .
(٤٢) نفسه: ٩٥/ ٢٢٦ .
(٤٣) الكافي: ١/ ٨٥ .
(٤٤) ينظر الآيات:البقرة:٢٥٧، المائدة: ١٦، إبراهيم: ١، إبراهيم: ٥، الأحزاب: ٤٣، الحديد: ٩، الطلاق: ١١.
(٤٥) ينظر: مجمع البيان: ٢/ ١٦٥، ٦/٢٥، ٦/ ٢٥٥، ٩/ ٣٢٨، ٩/ ٣٥٢، ١٠/ ١١٣، ١٠/ ٢٢٠، وينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٠٠.
(٤٦) التفسير الكبير: ٣/ ١٨ـ ١٩.
(٤٧) الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ٧.
(٤٨) الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٥١.
(٤٩) الأنعام: ١٥٣.
(٥٠)في ظلال القرآن: ١/ ٢٩٣.
(٥١) التفسير الكبير: ٤/ ٣٢٧.
(٥٢) التفسير الكبير: ٢/ ٣١٣.
(٥٣) الانعام: ١٢٢.
(٥٤)في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٠٠.
(٥٥) ينظر تفسير الكاشف: ٣/ ٢٥٧.
(٥٦) البقرة: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٥٧) الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٥٨) نفسه: ١٥/ ١٢٢.
(٥٩) الأنعام: ١٢٢.
(٦٠) الحديد: ٢٨.
(٦١) الزمر: ٢٢.
(٦٢) الحديد: ١٢.
(٦٣) الحديد: ١٣.
(٦٤) الحديد: ١٣
(٦٥) النور: ٤٠.
(٦٦) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٥٥.
(٦٧) محمد: ١٧.
(٦٨) مجمع البيان: ٨/ ٤٣٥.
(٦٩) تفسير البصائر: ٣٥/ ٢٦١.
(٧٠) النور: ٤٠.
(٧١) الأنعام: ١٢٢.
(٧٢) ينظر: تفسير الكاشف: ٣/ ٢٥٧.
(٧٣) الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٤٨.

(٧٤) نفسه: ٨/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩.
(٧٥) النحل: ٩٧.
(٧٦) الطلاق: ٢.
(٧٧) الأعراف: ١٧٩.
(٧٨) الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٤٩.
(٧٩) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٨٩ .
(٨٠) الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٥٠.
(٨١) الحديد: ٢٨.
(٨٢) الحديد: ١٣.
(٨٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ١٦٢.
(٨٤) طه: ١٢٥ ، ١٢٦.
(٨٥) الإسراء: ٧٢.
(٨٦) المائدة: ٤٤.
(٨٧) الأنعام: ٩١.
(٨٨) المائدة: ٤٦.
(٨٩) الشورى: ٥٢.
(٩٠) التفسير الكبير: ٤/ ٣٦٥.
(٩١) المائدة: ٤١.
(٩٢) المائدة: ٤٢
(٩٣) المائدة: ٤٣.
(٩٤) المائدة: ٤٤
(٩٥) المائدة: ٤٧.
(٩٦) المائدة: ٤٨.
(٩٧) ينظر: المائدة: ٤١ ـ ٥٠.
(٩٨) الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٥٤.
(٩٩) التفسير الكبير:٤/ ٣٧٠.
(١٠٠) نفسه: ٤/ ٣٦٥.
(١٠١) ينظر: مجمع البيان: ٣/ ٣٩٧.
(١٠٢) ينظر: مجمع البيان: ٩/ ٦٧، وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٧٧.
(١٠٣) الميزان في تفسير القرآن:٧٧/١٨.
(١٠٤) نفسه/ ١٨/ ٧٨.
(١٠٥) مجمع البيان: ٩/ ٦٧ ـ ٦٨.
(١٠٦) الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٥٤.
(١٠٧) الأعراف: ١٥٧.
(١٠٨) التغابن: ٨.
(١٠٩) النساء: ١٧٤.
(١١٠) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل: ٢/ ١٥٧، وينظر: التفسير الكبير: ٤/ ٢٧٤.، وينظر: مجمع البيان: ٣/ ٢٩٣، ٤، ٤٠٥، ١٠، ٣١، وينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ١٥٤، ٥/ ٢٤٩، ٩/ ٢٨٨، وينظر: في ظلال القرآن: ٢/ ٢٨٨، وينظر: تفسير الكاشف: ٣/ ٤٠٤، وينظر: تفسير البصائر: ٤٧/ ٣٤.

(١١١) الحجر: ١.
(١١٢) النور/ ١.
(١١٣) النحل: ٨٩.
(١١٤) التفسير الكبير: ٤/ ٣٢٧.
(١١٥) مجمع البيان: ٤٠٥/٤.
(١١٦) تفسير البصائر: ٤٧/ ٣٤.
(١١٧) مجمع البيان: ٤/ ٤٠٥.
(١١٨) الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٨٨.
(١١٩) البقرة: ٢١٣.
(١٢٠) يونس: ٥.
(١٢١) نوح: ١٦.
(١٢٢) الفرقان: ٦١.
(١٢٣) الأنعام: ١.
(١٢٤) الميزان في تفسيرالقرآن: ١٠/ ١١.
(١٢٥) مجمع البيان: ٥/ ١٧١، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١/ ١١٤، وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٢١.
(١٢٦) مجمع البيان: ٥/ ١٧١.
(١٢٧) التفسير الكبير: ٦/ ٢٠٨.
(١٢٨) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٣٦.
(١٢٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٣٨.
(١٣٠) التفسير الكبير: ٤/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩.
(١٣١) مجمع البيان: ٤/ ٥.
(١٣٢) الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ٧.
(١٣٣) التوبة: ٣٢.
(١٣٤) الصف: ٨.
(١٣٥) التفسير الكبير: ٦/ ٣٢.
(١٣٦) مجمع البيان: ٥/ ٤٧.
(١٣٧) الكشاف: ٢/ ٢٥٣ .
(١٣٨) التوبة: ٢٩.
(١٣٩) التوبة: ٣٣.
(١٤٠) الصف: ٧.
(١٤١) الصف: ٩.
(١٤٢) الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٥٥.
(١٤٣) مجمع البيان: ٩/ ٥٢٠
(١٤٤) نفسه: ٥/ ٤٧.
(١٤٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ٢٦٥.
(١٤٦) مفردات غريب القرآن: ٥٢٢، (طفئ).
(١٤٧) المائدة: ١٥.
(١٤٨) التفسير الكبير: ٤/ ٣٢٧.

(١٤٩) مجمع البيان: ٣/ ٣٥٢.
(١٥٠) الأحزاب: ٤٦.
(١٥١) الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ٢٤٩.

المصادر

- القرآن الكريم .
- أساس البلاغة:تأليف: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري،تصحيح: منير محمد المدني، زينب عبد النعيم القوصي، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢م .
- بحار الأنوار: تأليف: محمد باقر المجلسي: الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م .
- تاج العروس من جواهر القاموس: تأليف: السيد مرتضى الحسيني، دار إحياء التراث العربي،(د.ت).
- التبيان في تفسير القرآن: تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، مطبعة مكتب الإعلام الاسلامي، ١٤٠٩ هـ .
- تفسير البصائر: تأليف الأستاذ المحقق سماحة الحجة آية الله أبي محمد يعسوب الدين رستكار الجويباري، الطبعة الأولى،مطبعة باقري، إيران ـ قم، ١٤١٨ هـ . ق .
- تفسير الصافي: تأليف: فيلسوف الفقهاء المولى محسن الفيض الكاشاني، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الثانية، مؤسسة الهادي، إيران ـ قم، ١٤١٦ هـ .
- تفسير غريب القرآن الكريم: تأليف: فخر الدين الطريحي، تحقيق: الشيخ محمدكاظم الطريحي، إنتشارات لزاهدي، إيران ـ قم، (د . ت) .
- تفسير القرآن العظيم: تأليف: أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢ هـ ،
- تفسير الكاشف: تأليف: محمد جواد مغنيه: الطبعة الأولى، مؤسسة دار الكتاب العربي، ١٤٢٤ هـ .ق ـ ٢٠٠٣م .
- التفسير الكبير: تأليف: الفخر الرازي، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ هـ .
- شرح الأسماء الحسنى: تأليف: حاج ملا هادي السبزواري، مكتبة بصيرتي، (د . ت) .
- في ظلال القرآن: تأليف: السيد قطب، الطبعة الخامسة عشرة، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
- الكافي: تأليف: الشيخ الكليني: تحقيق: علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة، دار الكتب الاسلامية، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٨ هـ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف: أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م .
- لسان العرب: تأليف: العلامة ابن منظور، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م .

● مجمع البيان لعلوم القرآن: تأليف: الإمام السعيد أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .
● مفردات ألفاظ القرآن الكريم: تأليف: العلامة الراغب الأصفهاني: تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الرابعة، دار الشامية، بيروت - لبنان، ١٣٨٣ هـ .ش .
● مشكاة الأنوار: تأليف: الشيخ أبي حامد الغزالي، تحقيق وتقديم: الدكتور أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م .
● المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، توزيع آوند دانش، (د . ت).
● الميزان في تفسير القرآن: تأليف: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الطبعة الأولى، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، إيران - قم، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.